محبكم | د. محمد محمود السيد

عندما يستحي الجمال

مقال

د. محمد محمود السيد

عندما يستحي الجمال

قبل أن تسير حروفي إليكم ،
أنا هنا لا أتكلم عن شيء من الحلال والحرام . ولكن سوف أكون في هذا المقال بين ناقل لحروف واقع عصري، وبين نموذج لأكثر من جمال في شخصية واحدة. ودعونا نتفق قبل أن يضيع الوقت في قراءة هذه الحروف!!

إذا كان يضيع وقتك ويومك وسنين حياتك،

وأنت تفكرين في مظهر شعرك أو جسمك، أو تبحثين بكل حزن عن تجاعيد حول عينيك، أو يقلقك رأي الناس في ملابسك، أو يكون أعظم أولوياتك كيف أنحف ؟! بحيث يكون أعظم إنجازاتك أن تتمكني من لباس بنطال الجينز الضيق بكل سهولة.

هنا أخبرك أن المقال بكل حروفه لك .
في عام ١٩٩١ قامت الكاتبة والمفكرة والشاعرة الجميلة الحسناء نعومي وولف بتأليف كتابها المشهور (أسطورة الجمال) .

أرادت في كتابها أن توقظ العالم على حقيقة مفادها:

{أنه في الوقت الذي تحررت فيه المرأة من بعض الممارسات والقوانين، ظهرت وبشكل خطير قيود عبودية جديدة على المرأة باسم الجمال} .

تقول **المؤلفة وولف:** أن أسطورة الجمال التي وضعها النظام الغربي، يجبر المرأة على إنفاق عمرها كله ومالها من أجل تحقيق ذلك الجمال.

ولن تصل لذلك.....لماذا!!!؟

لأنها تسأل هذا السؤال:

من وضع لنا مقاييس الجمال؟

أليس الإعلام بكل أدواته (هوليود والدعاية والمجلات)، وكلها تسوق المنتجات على جسد المرأة ،وبالتالي صنعوا لنا مقاييس للجمال لايمكن الحصول عليها، لأنها مقاييس هلامية غير واقعية تعتمد على نظرة واحدة لهدف واحد، ونسوا أن الجمال وصفٌ يختلف من مكان لمكان .

ما الهدف من ذلك؟

تقول «وولف»:

والهدف من ذلك إبقاء الفتاة مشغولة البال غير مرتاحة، وغير واثقة والأهم من ذلك إبعادها عن مجالات من الجمال الخاص في مجتمعها والبيئة التي تعيش فيها.

ولذلك تقول وولف: أن أسطورة الجمال حركة مقاومة ضد الحريات،وتشير أن الحياة متعددة في طرق الجمال والإنجاز .

فكما أن الطريق متعدد المرادفات

«الطريق والسبيل والمور والريع والنهج والسنن والأسلوب والديلع»،

فإن في كل طريق في الحياة مجالا لتحقيق جمالا جديدا.

لكن الفتاة كما تقول وولف:

رُسم لها إطار واحد تختزل كل حياتها وجمالها فيه وهو إلى: (فائقة الجمال، نحيلة الجسم، مكياجي، حذائي، قهوتي ،

حفلتي، هديتي، ماذا يقولون عني ؟ كيف ينبهرون بي؟

ولذلك فإن الحيز الاجتماعي الضيق الذي تحاول الفتاة إثبات جمالها فيه محاصر بسؤال واحد فقط:

كيف أنا في عيون الآخرين؟

تقول وولف: وبهذا الاختزال الضيق لحياة الفتاة، والذي أصبح يخلو من أولويات اعتزازها بعلاقتها وهذا جمال، وتعليمها وهذا جمال، وثقافتها ومعارفها وهذا جمال، وعلاقتها بوالديها وأسرتها وهذا جمال ، ودورها الرائد في مجتمعها وهذا جمال خاص، وصحتها وقيمها وقوة شخصيتها تحكي جمال آخر.

لكن صنع لها مساحة ضيقة لتمارس فيه الجمال الذي يريدونه فقط.

حتى أصبح تجويع الجسد بدلا من كبح شهوات الجسد. حتى أصبح الإعلام وإعلاناته لا تتحدث عن روح المرأة وإنما كل شي من أجل الجسد!

«الحمية. العناية بالبشرة. عمليات التجميل. عالم العدسات....»

حتى أصبحت الفتاة رهينة للموضة العالمية والمقص الفرنسي

تقول وولف:

وهل جلب هذا المراثون للجمال الهولامي السعادة للمرأة أم ازداد بؤسها؟

أليس من الغبن أن لا نعيش إلا لمجال واحد من الجمال والحياة كلها، جمال من يعيش لنوع واحد من الجمال، فإنه سيحاول بكل أسلوب إظهار ذلك الجمال اليتيم والوحيد، حتى لوكان على حساب التنازل عن القيم !. وإذا فقدت شي من هذا الجمال فقد فقدت الحياة بكل سعادتها، لأنها لا تعرف إلا هذا النوع من الجمال .

تقول وولف:

«اليوم تبحث الفتاة عن مكانتها فقط بين أجساد النساء للمقارنة وبين عيون الرجال للإعجاب.

أما الجيل الذي سبقنا فكن يبحثن عن مكانة الفتاة في المجتمع» الآن أقول لنعومي وولف: سأضع بين يديك نموذجا تفتخري به، حقق قبل أكثر من ١٤٠٠سنة أكثر من جمال .

هذا النموذج امتلك كل الجمال والحسن في الشكل، لكن لم يكن ذلك الجمال الآسر لتلك الفتاة الصغيرة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وسلم)، مبررا لها لتقف عن البحث لجمال الحياة الحقيقية.بل حتى جمال أن والدها رسول الله، لم تجعل ذلك القرب سبيلا لتتوقف عن مسؤوليتها كإنسانة لها دور فاعل على نفسها وأسرتها وعائلتها ومجتمعها.

إن تلك الفتاة الجميلة فاطمة رضى الله عنها، تعلن لكل فتاة في العالم أن مواطن الجمال المتاحة لها كبيرة وكثيرة ، تنتقل من جمال إلى جمال، حسب قدراتها وشغفها لذلك الجمال،

رغم جمالها الرائع فهي كما تقول أمنا عائشة رضى الله عنها:

كانت فاطمة أكثر إنسانة تشبه رسولنا، الأجمل من القمر شكلا .وأما جمالها الآخر أنها كانت أكثر أهل الأرض تشبه النبي سمتا وشمائلا،

وهـذا الجمـال لايأتي لأن والدها هـو رسـول الله وإنمـا مسـؤولية فاطمـة تجـاه نفسـها ودينها وحياتها جعلها تكتسـب هـذا الجمـال مـن الصفـات. حتى أصبحـت كل خطـوات هـذه الفتـاة الجميلـة الصغيـرة مولـد لجمـال جديد، جمـال علاقتها بوالدها، إنه صناعـة ومجاهـدة حتى وصلت إليه.كانـت إذا زارت والدها قـام إليها وقـال: أهـلا بابنتي وقبّلها بيـن عينيها وأمسـكها بيده وأجلسـها مكانه. وإذا زارها والدها (صلى الله عليه وسلم)، قامت إليه وقبلتـه وأجلسـته مكانهـا.أي جمـال مـن العلاقـة تحققـه فاطمـة الجميلـة؟

هل ستكتفي فاطمة بهذه الإنجازات من الجمال؟

اسمعوا ماذا يقول الإمام الذهبي عن قصة جمال آخر لتلك الفتاة الصغيرة الجميلة فاطمة الزهراء:

«كانت فاطمة رضى الله عنها صابرة، دينة ، خيرة، صينة، قانعة، شاكرة لله تعالى». بالله عليكم أي حياة تعيشها تلك الفتاة وهي تحقق جمال الصبر والمصابرة دون تنازل في قيمها، وجمال الديانة والخشية وهي الصوامة القوامة القانتة، وجمال الخيرية وهي تحمل القلب الرحيم الحنون على كل أفراد مجتمعها . وجمال القناعة ذلك الكنز الذي لا تمتلكه إلا الواثقة بنفسها، وجمال الشكر لله على كل نعمة وهي عبادة القليل.

بل نحن على موعد آخر مع الجمال،

وهو جمال الزوجة العظيمة الحبيبة، والأم الرائعة .**يقول ابن كثير رحمه الله:** عاشت فاطمة مع علي رضى الله عنه على جهد العيش وضيقه، وهي الجميلة الحسناء القوية الواثقة الصغيرة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكنها كانت تؤمن أنها تصنع نوعا خاصا من الجمال ، حتى أن زوجها عليّ من شدة حبه لها كان يغار من السواك وهو في ثغرها.

وأما جمالها كأروع أم فقد احتضنت فاطمة أروع أولادها،

«الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب».

جعلت مع أولادها وزوجها من البيت ربيعا من الجمال والحب والرعاية، حتى كان الرحى يؤثر بيدها وهي تطحن الطعام، وتربي الأولاد بكل مسؤولية في إخراج جيل من بيتها يعزز فيه قيم البيت الهاشمي ، الذي يحمل قيم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تحقق لها ماتريد فأنجبت للدنيا أعظم الأولاد وكأن فاطمة بهذه الإنجازات الجمالية تملك أكادمية الجمال في كثير من المجالات .

وبعد هذا الإنجاز من الجمال لهذه الفتاة الجميلة الصغيرة، هي على موعد مع حفل لتدشين هذه المسيرة من الجمال

تدشين يتقازم معه أي تدشين،

(هوليوود .مسابقات الجمال. وسائل التواصل الاجتماعي) التدشين من السماء!! والجائزه أغلى من الكرة الأرضية بأكملها !

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(أن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم علي، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة !! وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة).

بالله عليكم هل هناك جائزة عالمية لفتاة ممكن أن تقارن بهذه الجائزة التي لم تأت إلا بمسؤولية واعية من تلك الفتاة الحسناء المبدعة، رضى الله عنها .وتأتي الليلة الرابعة من شهر رمضان في السنة الحادية عشر من الهجرة وفاطمة الجميلة وعمرها ٢٥ربيعا، على فراش مرضها سعيدة فرحة ببشرى أبيها لها، أنها أول أهله يلحق به بعد وفاته ،أصحاب نجاح العلاقات حتى الموت يتحول إلى موعد للقاء الأحبة. وهي على فراشها وكأن القمر في وجهها من جمالها.

تدخل عليها أسماء بنت عميس وتجد تلك الجميلة الملكة في جنانها تبكي!!
تسألها أسماء: أتجزعين من الموت يافاطمة الجميلة؟

فترد مباشرة بردٍ وكأنه للعالم بكل شعارات حريته وحقوقه، ولكل فتاة قد يرابي بها الآخرون لتتنازل في إظهار مفاتنها وسماع حروف الإعجاب بها. قالت فاطمة: يا أسماء «أخاف أن يراني الرجال بعد وفاتي»!.

يالله وكأنها تقول: يا أسماء جسدي وجمالي وقوامي هي أعظم مسؤولية، أريد أن أحافظ عليها حتى بعد مماتي ،فقالت لها أسماء: نصنع لك يا أميرة الجمال ماكنّا نصنعه في الحبشة،كنا نضع الجريدة منحنية في مقدمة النعش ومؤخرته، ثم نسدل الستار فلا يصف.

وهنا ظهر ثغر تلك الجميلة فاطمة مبتسما وهي تقول لأسماء :
(سترك الله كما سترتيني يا أسماء) .
تموت الفتاة الصغيرة وهي ملكة الجمال في الجنة بعد أن أخبرت كل فتاة في العالم

(كيف يستحي الجمال)

د محمد بن محمود السيد

١٢/ربيع الاول /١٤٤٢

عندما يستحي

الجمال